



أجيالٌ على أجيال!!

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa179-090817.pdf>

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

أجيال الدنيا في تماسك وترافد وأجيالنا في تماحق وتنافر , وهذه علةٌ جوهرية أسهمت بصناعة النواكب والنوازل الجسام , ولا تزال أجيال أمتنا في متاهات التصارعات والضياع والخسران الأبيد . ومع توافد العقود والقرون وتراكم المعطيات والقدرات والعقول , لكن الأمة لاتزال متمحنة بأجيالها , ومحكومة بأصفاة التناحرات ما بين الأجيال المتخندقة في مواضعها والمتأهبة للإقتتال , فتراها تبدد الطاقات في النيل من أمواجها التي عليها المساهمة في صناعة التيار المتدفق بالحياة . وهذه بعض القراءات السلوكية لما يدور في أروقة الأجيال العربية .

أولاً: جيلنا المفقود!!

كنّا في تجمع ثقافي , فنهض أحد الأخوة متسائلاً عن دور جيلنا , وبرر سؤاله بأننا قد عشنا ما بين ضغط القومية سابقاً والطائفية حالياً , ووعينا الإنحدار المأساوي من التطلع نحو بناء الأمة , إلى تداعيات صناعة الطائفة والفئة , والإمعان بالتصاغر الإئتماي حد الإنقراض .

أثار سؤاله غضباً وإضطراباً لأن الجواب عليه عسير , ولا يوجد في القاعة من يتجرأ على الجواب , لأن الجميع يتحملون وزراً وإثماً في صناعة الحالة القائمة في الحياة العربية المعاصرة .

فالقوميون , لم يتمكنوا من الإرتقاء بالنظرية القومية إلى التطبيق , أي أنهم لم يمتلكوا سوى الكلمات التي تبدو أحياناً مجوفة , لخلوها من الآليات اللازمة للتعبير الواقعي عنها .

ومرّ القوميون العرب بتجارب قاسية وتداعيات مريرة , أنهت قيمة ومعنى شعاراتهم ومنطلقاتهم , حتى أصبحت تصرفاتهم تناقض ما يدعون إليه , كما أن الأحزاب القومية إنحسرت في الكراسي , وإحتزقت , وتحولت إلى حالة رمادية أو متفحمة في مكانها , ولم تحرك مسيرة الأمة بإتجاه واضح , ولم ترسم لها خارطة المستقبل المعاصر السعيد .

ومثلما هو معروف فإن إرادة القومية العربية , تمزقت وأصابها التجارب الفاشلة والخطوات المندفعة المنفصلة بالكثير من الأزمات التي تقامت وأصبحت قاتلة , إبتداءً من الوحدة ما بين مصر وسوريا , وغيرها من التجارب الوحودية الخيالية , التي أبعدت الوحدة العربية كقيمة وآلية حضارية عن الواقع وألقته في مهاوي المستحيل .

وبوفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر , قرأ العرب الفاتحة على الدعوات القومية , وما تمكن أكبر حزب قومي أن يبرهن على أنه قادر على تقديم مثل عربي , يمنح الدعوات القومية قدرات التواصل العزيز الذي يحقق إرادة الأمة .

أجيال الدنيا في تماسك وترافد
وأجيالنا في تماحق وتنافر ,
وهذه علةٌ جوهرية أسهمت
بصناعة النواكب والنوازل
الجسام

فالقوميون , لم يتمكنوا من
الإرتقاء بالنظرية القومية إلى
التطبيق , أي أنهم لم يمتلكوا
سوى الكلمات التي تبدو أحياناً
مجوفة , لخلوها من الآليات
اللازمة للتعبير الواقعي عنها .

أن الأحزاب القومية
إنحسرت في الكراسي
وإحتزقت , وتحولت إلى حالة
رمادية أو متفحمة في مكانها,
ولم تحرك مسيرة الأمة بإتجاه
واضح , ولم ترسم لها خارطة
المستقبل المعاصر السعيد .

فقد أكلت الكراسي جميع الأحزاب القومية وبلا إستثناء.

وبعد هذا الإندحار المروع ، أصبح العرب أمام خيار الدين السياسي الطائفي بأحزابه ، ذات القدرات الإنفعالية الفائقة ، والتي إنطلقت بإرادات سلبية ، تسببت في تدمير البلدان والعباد ، وهي ترفع شعارات الدين ، وتتستر به.

وتكرر ذات اللعبة ، التي لعبها القوميون العرب وبخسائر فائقة.
فالأحزاب الدينية تخسر وطنها وشعبها ودينها.

وبعد هذه العقود المريرة ، إلتقيت بأحد دعاة ورموز القومية العربية المعروفين ، وقد بلغ من العمر عتيا ، فقال لي: أن القومية تعني الوطنية !!

فلم أجب ، لأن الذي أراد قوله بأن علينا أن نتمسك بالخيال أو نطارذ السراب ، ذلك أن الطائفية قد محقت أطراف الوجود الصحيح ، وأفنت القومية والوطنية ، فما عاد هناك وطن ، وإنما فئة وطائفة ، فهذه المنطلقات الإفئائية الجديدة ، تعني كل شئ وستؤدي إلى كل شئ ، مرتبط بالمأساة العربية الفظيعة الآتية.

وبعد هذا الإختصار عدت إلى الأخ ، أسأله عن مأساة جيلنا ، فواجهني بنظرات الحيرة والإنكسار ،
فكان الصمت هو الجواب!!

ثانياً: تقاهر الأجيال!!

الأعوام تتواكب والأجيال تتعاقب ، وفي مطلع كل عام ينهض سؤال حائر عنوانه ، هل أن الأجيال تتكاتف؟
فهذا السؤال في محنة صعبة ، فهو المؤود في أحوال التفاعلات الضارة بوجودنا ، والمدمرة لصيرورتنا الحضارية المثلى.
فأي متفحص لأحوالنا ومآلاتنا ، وما نقوم به ، يرى بوضوح أن الأجيال تتصارع وتتعاوق ، ولا تعرف آليات ومهارات التكاتف والتآلف والتفاعل الإيجابي النافع.
كل جيل يريد أن يستأثر بالحياة على حساب أجيال.

وهذا ينطبق على الواقع السياسي في مجتمعاتنا ، حيث تنتهي معضلة الإستحواذ على الأجيال إلى مأساة مروعة ومدمرة.
وقد تكررت مرارا في العراق وغيره من البلدان.
وتابعناها بتفاصيلها في تونس ومصر وليبيا ، حيث إتفجرت الأجيال المخنوقة المكبوسة بجيل وفعلت ما فعلته.

أن الطائفية قد محقت أطراف الوجود الصحيح ، وأفنت القومية والوطنية ، فما عاد هناك وطن ، وإنما فئة وطائفة

كل جيل يريد أن يستأثر بالحياة على حساب أجيال.

لماذا يأخذ جيل حقوق الأجيال ويثري ، فيسرق وينهب ، ويتحول إلى رمز للثراء الفاحش والظلم القاهر، ولماذا يتلذذ بإذلال الأجيال وتحويلها إلى قطيع؟

وهذا الموقف الغريب يطرح سؤالاً آخر، مفاده، لماذا تغتصب الأجيال حقوق بعضها؟
لماذا يأخذ جيل حقوق الأجيال ويثري ، فيسرق وينهب ، ويتحول إلى رمز للثراء الفاحش والظلم
القاهر، ولماذا يتلذذ بإذلال الأجيال وتحويلها إلى قطع؟

يبدو أن غياب الدستور الصالح ، وإنعدام الشعور الوطني هما من أهم أركان هذا التفاعل
الصراعي الضار بالجميع.

وفي ذلك تتميز المجتمعات المتأخرة عن المتقدمة ، فالأخيرة تدرك أن لا بد لنهر الأجيال أن
يجري ، ولكل موجة أن تساهم في حركة التيار ، ولا يمكنها بأي حال من الأحوال أن ترتضي لنفسها
أن تكون سداً أو مانعاً بوجه حركة الحياة.

حتى في الصين ، عندما حصل تعثر في الجريان ، أسرعت القيادة إلى البحث عن الحلول اللازمة
وتوفير المنافذ الضرورية لتأمين إنسياب الأجيال بسلاسة وهدوء وعطاء أكبر.

أما في مجتمعاتنا، فلا زلنا لا نعي هذه الحقيقة الحضارية ، وشاهدنا كيف أن النظام المصري
السابق وإلى آخر لحظة لم يشر إلى وعي معاصر لهذه الحقيقة ، ومضى يغفل سلوكه المضاد لحركة
الأجيال الصاعدة ، وكذلك فعلها النظام الليبي ، وغيرهم العديد من الأنظمة التي تعتاش على إفتراس
الأجيال وتدميرها.

إن ما يجري في المجتمعات العربية هو محنة تقاهر الأجيال ، وغياب الفهم الموضوعي
الحضاري المعاصر لأهمية تفاعلها وتكاتفها ، لكي يأخذ كل جيل فرصته ودوره في العطاء والبناء
وبذلك تتقدم الشعوب.

ومن المعروف أن المجتمع في محنة الصراع القاسية ، يدخل في تفاعلات إنفعالية إنتقامية ذات
تداعيات خطيرة ، حيث الخراب والدمار وسفك الدماء.

ولهذا فأنا المطلوب من المجتمع العربي، وعي حقيقة تواكب الأجيال وكيفيات إمتلاكها لفرصة
التعبير عن طاقاتها ، وتأثيرها في جريان نهر الوجود الوطني في كل مجتمع.
ولا يضمن ذلك إلا دستور سامي أصيل ، وإيمان بأن الوطن وعاء صيرورة لا بد من صيانتته
والحفاظ على سلامته وتأمين أسباب السعادة والأمن فيه.

ثالثاً: سدود الأجيال!!

عندما يجري نهر الحياة فإنه يعبر عن الثورة ، وعندما يتوقف عن الجريان تكون الثورة.

هذا خلاصة ما دار بيني وبين أحد المفكرين الصينيين الذي إنقته على مائدة غداء ، وأخذ يحدثني
عن الثورة المصرية وكيف أنها ستكون ذات تأثير إنساني فعّال في الإلهام والتعلم.

قال: إنها ثورة ذات روح تستحق التقدير والإعجاب ، لأنها إنبتقت من أعماق الإنسان وإنطلقت

إن ما يجري في المجتمعات
العربية هو محنة تقاهر الأجيال ،
وغياب الفهم الموضوعي
الحضاري المعاصر لأهمية
تفاعلها وتكاتفها

أن المطلوب من المجتمع
العربي، وعي حقيقة تواكب
الأجيال وكيفيات إمتلاكها
لفرصة التعبير عن طاقاتها ،
وتأثيرها في جريان نهر الوجود
الوطني في كل مجتمع.

ففي الصين لا يسمع النظام
بإقامة المتقدمين في العمر
بالمناصب طويلاً ، كما يحصل في
مجتمعاتكم ، وهناك دائماً مواقع
للشباب لأنهم يجددون الحياة
ويمتلكون عناصر المواطنة
والإبتكار

بعفوية وجماهيرية غير مسبوقه.

قلت: إنها ربما أعادت القيمة الإنسانية وأخرجت الناس من محنة اليأس والعجز والإحباط والكآبة والإنكسار والقنوط.

قال: إنها أكبر من ذلك , لأنها فتحت آفاق المستقبل وأوقدت مشعل الحياة الصحيحة في قلوب الأجيال.

وبعد برهة صمت أضاف: ستفتح أسواقا كبيرة للصين , فسيتمكن الناس من التفاعل مع الصين بحرية أكبر.

لم أعلق على كلامه فهو مواطن صيني ويفكر بمصالح بلده , لكنني سألته: وهل تتصور ربما يحصل هذا في الصين؟

قال: ماذا تقصد؟

قلت: أقصد الثورة.

فانتفض وقال كلا , لن يحصل هذا , لأنه قد حصل منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين
قلت: كيف؟

قال: إن الحياة نهر يجري , والنظام الصيني يحافظ على جريان هذا النهر.

قلت: لكنهم يقولون أنه نظام إستبدادي.

قال: في الصين لا يبقى الرئيس طويلا , والرئيس الحالي ستنتهي ولايته هذا العام , وهناك مجال مفتوح للشباب , ذلك أن الذي لا يقدم شيئا ولا يتقدم من العاملين في الدولة يحال على التقاعد.
ففي الصين قد تُحال على التقاعد وأنت في العقد الخامس من العمر , وذلك لفسح المجال للشباب ,
خذ على سبيل المثال , أخي في الثانية والخمسين وأحيل على التقاعد.

ففي الصين لا يسمح النظام بإقامة المتقدمين في العمر بالمناصب طويلا , كما يحصل في مجتمعاتكم , وهناك دائما مواقع للشباب لأنهم يجددون الحياة ويمتلكون عناصر المواكبة والإبتكار ,
فلكل منصب عمر محدد ومواصفات محددة , إن لم تستطيع الإيفاء بها يتم إحالتك على التقاعد. فلا بد من التجدد والتقدم والأفكار المعاصرة , ولهذا فإن الصين نهر يجري , أما عندكم فالحياة بركة راکدة , وبسبب هذا الركود الطويل يحصل التعفن وتبدأ الإضطرابات والثورات.
ومضى قائلا: إن الثورة الصينية حالة مستمرة لا تتوقف.

وبرغم الكثير من التساؤلات الأخرى سألته: أ بهذه الأساليب حافظتم على جريان نهر الحياة؟
قال: بالتفاعل الحي مع الأجيال , الصين أدركت أن الأجيال يجب أن تتفاعل , وعلى كل جيل أن يحترم الجيل الذي يليه أو قبله , وأن يساهم كل جيل في بناء الحياة , وإطلاق الطاقات , فالأجيال تسعى لإطلاق طاقاتها والتعبير عن أفكارها التي تركزت حول الصناعة والإبتكار والإختراع , فأفاق العلم والتكنولوجيا الصناعية مطلقة.

قلت: وماذا عن السياسة والأحزاب؟

ولماذا فإن الصين نهر يجري , أما عندكم فالحياة بركة راکدة , وبسبب هذا الركود الطويل يحصل التعفن وتبدأ الإضطرابات والثورات.

فمشكلتكم الأساسية أن أي جيل يمتلك القوة يبني سدودا عظيمة أمام الأجيال اللاحقة ليقتصرها ويحصر طاقتها , ويمنعها من المشاركة في بناء الحياة

الكثير من أنظمتكم تخطط لقتل الشباب في حروب وصراعات غير ضرورية ولا مبررة.

قال: التفكير السائد , هو كيف تستثمر الأفكار وتطور الأعمال وتخترع وتجنّي أرباحا وتقدم بضاعة , فالمجتمع الصيني منهمك بالأعمال الحرة والإنتاج والتصدير , إنه على سكة الإختراع والإبتكار والإنتاج والربح.

قلت: وهل ترى ذلك سيتحقق في بلداننا؟

قال: الشباب يصنع الحياة , وإذا تمكن الشباب من أخذ دوره , وأدركت الأجيال أن عليها التفاعل لا التقاتل والتصارع فإن بلدانكم ستتحرك بسرعة وتكون. فمشكلتكم الأساسية أن أي جيل يمتلك القوة يبني سدودا عظيمة أمام الأجيال اللاحقة ليقهرها ويدمر طاقتها , ويمنعها من المشاركة في بناء الحياة , والكثير من أنظمتكم تخطط لقتل الشباب في حروب وصراعات غير ضرورية ولا مبررة. إن محنتكم في صراع الأجيال , وهذا واضح في الحالة المصرية حيث أن النظام المصري يسيطر عليه جيل واحد قد قهر جميع الأجيال التي جاءت بعده , وقد شاخ وهم ويريد البقاء في السلطة إلى الأبد.

هذه معضلتكم بإختصار, فعندما تتحطم السدود المبنية من قبل جيل واحد , سيجري نهر الحياة وتتدفق مياه وجودكم ويتألق دوركم.

قلت: فالثورة الحقيقية هي التي تُفاعل الأجيال لا تخندقها , وعلينا أن ننتظر لنرى ما ستكون عليه الأحوال.

قال: الثورة الغير قادرة على سيك الأجيال لا تسمى ثورة.

وكأنني باكتشاف تعريف جديد لمعنى الثورة والحرية والديمقراطية , فهل سنمتلك القدرات النفسية والسلوكية الكفيلة بصناعة سبيكة الأجيال.

رابعاً: الجيلولة والجيلولة!!

الجيلولة معناها أن يحتكر جيل بنفسه مواقع إتخاذ القرار , وأي جيل يتخندق في كينونته الجيلية يتحول إلى عدو لذاته وموضوعه , ويصبح عالية وضرر وعله وبيلة تصيب الوطن والمجتمع بمقتل عظيم.

فالأجيال يجب أن تتداخل وتتفاعل في المواقع والمواضع والمسؤوليات , لكي يكون المجتمع معافى ويتمتع بقدرات الحياة المعاصرة , وهذا ملحوظ في المجتمعات القوية المقنطرة , ففيها نرى التداخل المتفاعل المبدع ما بين مراحل الأجيال المتوافد إلى مسرح الحياة ودروبها , والتي تبحث عن مساهماتها وتأثيرها فيها.

وفي مجتمعاتنا يسود مفهوم الجيلولة , وحالما يتمكن جيل من الهيمنة والسلطة والمسؤولية حتى تراه يتخندق ويبني المتاريس ويصبح في حرب مع الأجيال كافة , وقد شهدت ذلك وعانيت منه , عندما إحتكر جيل الهيمنة على المقدرات ووضع الحواجز أمام الشباب لمنع التقدم والعطاء , وأخذوا يساهمون بتشريع القوانين المعرقلة لخطوهم ومشاركتهم في النشاطات المتفاعلة مع الأجيال , ولهذا ندرت التواصلات العلمية والثقافية , وشاع الحديث عن الجيل الفلاني والجيل الفلاني , كما هو واضح

فالثورة الحقيقية هي التي تُفاعل الأجيال لا تخندقها

الثورة الغير قادرة على سيك الأجيال لا تسمى ثورة.

وفي مجتمعاتنا يسود مفهوم الجيلولة , وحالما يتمكن جيل من الهيمنة والسلطة والمسؤولية حتى تراه يتخندق ويبني المتاريس ويصبح في حرب مع الأجيال كافة

في الأدب والثقافة ، وما تعلمنا الكلام عن الإبداع - مثلا - بتوصيفه الوطني والإنساني ، ولانزال نقرأ عن هذا الجيل وذاك الجيل وكأن كل جيل يعيش في خندقه المحصن العتيد.

وبسبب هذه العلة المريرة التي تسري في المجتمع تجد الواقع يتردى والعقول في محنة التهميش والتهجير والإبعاد والقهر والمحق ، لأن ما يحمله جيل لا ينفق وما يراه جيل ، وكأن الحياة حكر على جيل دون غيره ، وأنها فرصة هذا الجيل لا ذاك الجيل ، وأن قدر هذا الجيل أن يقهر ويمحق جميع الأجيال. ففي العراق مثلا صار المجتمع ضحية للجيل المولود ما بين 1935-1945 ، هذا الجيل الذي تأسد وتمترس وتغطرس وتعادى مع الأجيال السابقة واللاحقة وأفناها جميعا ، حتى إلى وجود مشاع للقوى التي إستباحت كل ما فيه أو يدل عليه.

والأمثلة كثيرة ، وبينها في المجتمعات العربية الغير قادرة على فهم وتفعيل آليات التواصل ما بين الأجيال وتشجيعها على التراقد والتوالد ، وحمل الراية الوطنية والحضارية والإنسانية بقدرات متماسكة ومتشابهة مؤدية إلى عطاءات جمعية ذات قيمة متنامية.

ولا بد لمجتمعاتنا أن تستفيق من الإحتكار الجيلوي وتتعلم مهارات صناعة الحاضر والمستقبل ، والوصول إلى آفاق الحفاظ على الهوية الوطنية والذاتية ، والإنطلاق الجميل الرحيم في ميادين أكون الفياضة الساطعة.

فهل من تفاعل وتكاتف أجيال!!؟

وهكذا فأن موضوع تواصل وتفاعل الأجيال وإنسباكها في بودقة صيروراتية حضارية ساطعة يمثل جوهر القوة والإقتدار ، والأمم بأجيالها المتواشجة المتعاضدة ، وكيفما تكون آليات تفاعل أجيالها تكون الأمم والشعوب.

وهذه حقائق تاريخية وثوابت حضارية ، ونواميس كونية صادقة واضحة ومؤثرة في بناء الوجود الأرضي ، ولن تكون أمة إذا تصادمت أجيالها كما تتصادم كرات البليارد ، وعندها تكون تحت رحمة الطامعين بها والمتشوقين لإفتراسها ومحققها.

*** **

فهي العراق مثلا صار المجتمع ضحية للجيل المولود ما بين 1935-1945 ، هذا الجيل الذي تأسد وتمترس وتغطرس وتعادى مع الأجيال السابقة واللاحقة وأفناها جميعا ، حتى إلى أهدى الوطن

ولا بد لمجتمعاتنا أن تستفيق من الإحتكار الجيلوي وتتعلم مهارات صناعة الحاضر والمستقبل ، والوصول إلى آفاق الحفاظ على الهوية الوطنية والذاتية

والأمم بأجيالها المتواشجة المتعاضدة ، وكيفما تكون آليات تفاعل أجيالها تكون الأمم والشعوب.

سلسلة الكتاب العربي " نفســــــــــــــــانــــــــــــــــي "

إصدارات مختبئة مخبئة في ظل وطوبى النفس

*** **

دليل سلسلة اصدارات " نفسانــــــــــــــــي " على الشبكة

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

--- -- --

الكتاب العربي " نفســــــــــــــــانــــــــــــــــي " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

--- -- --

الكتاب العربي " نفســــــــــــــــانــــــــــــــــي " على الفاييس بوك

<https://www.facebook.com/The-Arab-eBook-of-Psychological-Sciences-217222165315189/>

--- -- --

الكتاب العربي " نفســــــــــــــــانــــــــــــــــي " على التويتتر

<https://twitter.com/arabpsyfound>